

## مداخلة بعنوان:

مبدأ الانسجام بين علماء القرآن وعلماء التفسير

إعداد: ريمة عسكري

-طالبة في الطور الثالث سنة ثانية دكتوراه ل.م.د-

## ملخص المداخلة:

يحتل مبدأ الانسجام مرتبة عالية في الدراسات اللسانية الحديثة لما له من وقع في تقييم فعل الكلام والاعتداد بصاحبه، وهو لا يقل أهمية في الدراسات العربية، اللغوية منها والبلاغية.

وأمام هذا الاهتمام المتزايد على مستوى النص الأدبي/الديني، يطرح البحث الحاضر إشكالية انسجام النص القرآني عند علماء القرآن وعلماء التفسير من خلال مستويات ستة: (صوتي/نحوي/صرفي/معجمي/دلالي/تداولي).

ورغم أنّ التصنيف في علوم القرآن جاء متأخراً عن تفاسيره، فإنّ الهدف من وراء البحث يكمن في معرفة درجة ضبط آليات الانسجام من جهة علماء القرآن، مقابل تأثير ذلك على العملية التأويلية من جانب علماء التفسير.

## مقدمة:

إنّ الحديث عن حضارة النص وسط ما نتخبط فيه من تحلّف يجعلنا نعيد النظر في الأسباب التي تعيق طريق وصولنا للمجد من جديد، ولعلّ أهمّ هذه الأسباب الانكفاء على الذات والانغلاق بعدم الاستفادة من الآخر؛ ومهما كان هذا الآخر فههدف المعرفة واحد بتعدد المعتقدات، الأعراق والأجيال، إنّه ببساطة: خدمة الإنسان.

هذا الأخير الذي يستحيل توقّفه عن التساؤل استحالة توقّف ساعة الزمن عن إحداث مواضيع جديدة تستحقّ فعلاً ذلك التساؤل، لم يبق أمامه إلا أن يبحث عن نور مقدّس يجلّي سبب وجوده على سطح المعمورة، ويستقرّ بكيانه وجوداً يقينياً يثبت العقل بتفاعله مع أحداث زمانه، والقلب بتصديق حقائق قديمة قدم أسلافه، جديدة جدّة السلامة من صحّة معارضه.

إنّ النّصّ المقدّس الذي بين أيدينا اليوم (القرآن) لا يمكنه أن ينطق بنفسه ليحلّ إشكالات العصر، فما هو إلا رموز وإشارات كتب الله عليها ان تفيد كلّ من عزم إليها بصدق النّيّة وسعى إليها كأداة لا كفاعل مصداقا لقوله تعالى: **چ ه ه ع ع ع** **لث لث لث كج الرعد: ١١**؛ فبدل أن نغمس في سحائق الماضي تجميدا لهذا النّصّ وبكاء على الأطلال، علينا أن ننقل تلك الإشارات إلى عالمنا استنطاقا لها، أصالة ومعاصرة.

إلا أنّ استحضار النّصّ القرآني كأداة مساعدة لحلّ إشكالات الواقع المعاش يتطلّب وجود قوّة فاعلة (القارئ/المفسّر) تستمدّ ثقتها الكاملة بالنّصّ من خلال إثبات نجاعته في التّعاظمي مع متغيّرات العصر؛ تلك الثّقة تزداد عمقا بوجود انسجام مزدوج: داخلي (شكل النّص)، وخارجي (الواقع/المعتقدات).

بذلك تدخل ثلاثيّة النصّ/القارئ/الواقع في تفاعل جدلي يخلق جوّاً تأويليّاً يدفعنا للتساؤل عن حقيقة انسجام النّصّ القرآني من منظور علماء القرآن وعلماء التفسير، فما هي آليات هذا الانسجام؟ وما مدى علاقته بعملية الفهم والتّأويل؟

إنّ الإجابة عن هذه الأسئلة تتطلّب تحديدا لمفهوم الانسجام:

**أ- وهو في اللّغة:** كما ورد في لسان العرب مشتق من مادة (س ج م): "سَجَمَتِ العَيْنُ الدَّمْعَ، والسَّحَابَةُ المَاءَ، تَسْجِمُهُ وَتَسْجِمُهُ سَجْمًا وَسُجُومًا وَسَجْمَانًا، وَهُوَ فَطْرَانُ الدَّمْعِ وَسَيْلَانُهُ، فَلَيْلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا، وَذَلِكَ السَّاجِمُ مِنَ المَطَرِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: دَمَعُ سَاجِمٍ... وَأَنْسَجَمَ المَاءُ وَالدَّمْعُ؛ فَهُوَ مُنْسَجِمٌ إِذَا أَنْسَجَمَ أَيَّ انْصَبَّ، وَسَجَمَتِ السَّحَابَةُ مَطَرَهَا تَسْجِيمًا وَتَسْجَامًا إِذَا صَبَّتْ"<sup>1</sup>.

وجاء في القاموس المحيط: "سَجَمَ الدَّمْعُ سُجُومًا وَسَجْمَانًا، كَكِتَابٍ، وَسَجَمَتُهُ العَيْنُ، والسَّحَابَةُ المَاءَ، تَسْجِمُهُ وَتَسْجِمُهُ سَجْمًا وَسُجُومًا وَسَجْمَانًا: فَطَرَ دَمْعَهَا، وَسَالَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا"<sup>2</sup>.

إذا ربطنا هذه المعاني اللّغويّة بالكلام نجد الانسجام هو: "أن يكون الكلام... منحدرا كتحدّر الماء المنسجم"<sup>3</sup>.

**ب- اصطلاحا:** يعدّ مصطلح الانسجام "Coherence" أحد المصطلحات التي عرفت تباينا شديدا في الآراء حول ترجمته إلى اللغة العربيّة، فمثلا محمد خطابي ترجمه بـ "الانسجام"، أما تمام حسان فضّل "الاتحام"، بينما

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة: (سجم)، م: 3، ج: 21، ص: 1947.

<sup>2</sup> الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مادة: (سجم)، ص: 1119.

<sup>3</sup> محمد علي التهنوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج: 1، ص: 281.

اختار محمد مفتاح مصطلح "التشاكل"، واستعمل كل من سعد مصلوح ومحمد العبد مصطلح "الحبك"،<sup>4</sup> أما جميل عبد المجيد ونظيره حماسة عبد اللطيف فقد اختارا مصطلحا أعمّ ممّا سبق وهو: "التماسك"، باعتبار أنّ هذا الأخير يتمتع بخاصّيتين: الأولى ذات طابع شكلي ويقصد بذلك الاتساق، والثانية ذات طابع دلالي ويقصد بذلك الانسجام.<sup>5</sup>

ومهما يكن من تباين حول ترجمة واضحة للمصطلح، فإنّ تحديد مفهوم الانسجام يقودنا للوقوف عند أهم المحطّات التي اعتنت ببلورة دلالاته وإثراء أدواته:

ظهر هذا المصطلح كأول مرّة في دروس ق.قيوم الذي جعل منه خاصيّة للسان باعتباره نسق متكامل ذو أجزاء منسجمة، وبانتقال هذا المفهوم من لسانيّات اللسان إلى لسانيّات النص/الخطاب اكتسب معنى آخر، اختلط في كثير من الأحيان بمفهوم الاتساق.<sup>6</sup>

وعلى إثر ذلك كانت أوّل الجهود البارزة في تأسيس فكرة واضحة عن العوامل الأساسيّة التي تجعل جمل متتاليّة تشكّل نصّا موحدًا مع م.أ.ك.هليداي M.A.K.Halliday و رقيّة حسن Ruqaiya Hasan في كتابيهما المشهور: الاتساق في الإنجليزيّة "Cohesion in English"،<sup>7</sup> حيث انصبت جهود الكتاب على إبراز دور الاتساق في الحكم على نصّ ما من عدمها، وذلك يظهر من خلال التعريف الآتي: "إنّ مفهوم الاتساق مفهوم دلالي؛ يعود إلى طبيعة العلاقات المعنويّة الكامنة داخل النصّ، والتي تجعل منه نصًّا".<sup>8</sup>

يذهب الباحثان إلى أنّ السامع/القارئ حين يكون إزاء وضعيّة لغويّة معيّنة يستحضر بنيتين: خارجيّة وداخليّة؛ "تتمثّل البنية الدّاخلية في اعتماد الوسائل اللغويّة التي تربط أجزاء مقطع ما، وتكمن الخارجيّة في مراعاة المقام، أي أنّ المتلقّي يضع في اعتباره كلّ ما يعرفه عن المحيط"،<sup>9</sup> على أنّ إمكانيّة الفصل بين البنيتين السّالفتين بالنسبة للمتلقّي غير واردة، أمّا بالنسبة للدارس اللساني فهو أمر ضروري باعتباره موضوع دراسته، وبناء عليه يهتم الباحثان بدراسة مظاهر الاتساق اللغويّة (الدّاخلية) التي تميّز النصوص في اللّغة الإنجليزيّة،<sup>10</sup> وأولها:

<sup>4</sup> الطيّب العزالي قواوة: الانسجام النصّي وأدواته، ص: 62.

<sup>5</sup> نعيمة سعديّة: الاتساق النصّي في التراث العربي، ص: 28.

<sup>6</sup> باتريك شارودو ودومينيك منغو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، ص: 100.

<sup>7</sup> محمد خطّابي: لسانيّات النصّ مدخل إلى انسجام النصّ، ص: 11.

<sup>8</sup> M.A.K.Halliday And Ruqaiya Hasan : Cohesion in English , p : 4.

<sup>9</sup> Ibid , p : 20.

<sup>10</sup> محمد الخطّابي: المصدر السابق، ص: 14.

- الإحالة: علاقة دلالية تتسم بوجود خصائص متطابقة بين عنصر محيل وعنصر آخر محال عليه، وتبرز على شكل: ضمائر، أسماء الإشارة وأدوات المقارنة... وتنقسم الإحالة إلى مقامية (خارج النص)، ونصية (داخل النص سواء كانت قبلية أو بعدية).
  - الاستبدال: علاقة بين عنصر متأخر وآخر متقدم تقوم على تعريض الأول بالثاني، وهو ثلاثة أنواع: استبدال اسمي، استبدال فعلي واستبدال قولي.
  - الحذف: علاقة قبلية يهتدي بواسطتها القارئ إلى اكتشاف المحذوف، فيتوقع المقصود ويملاً الفراغ، وهو أنواع: اسمي، فعلي وحذف يحدث داخل شبه الجملة.
  - الوصل: يقصد به وجه الترابط بين جمل متتالية، ولكي يدرك النص كوحدة متماسكة يحتاج إلى روابط متنوّعة وهي: إضافية (و، أو، مثل، أعني، نحو... ) عكسية (لكن، من جهة أخرى... )، سببية (إذن، بالتالي... ) وزمنية (بعد ذلك، في النهاية...).
  - الاتساق المعجمي: ينقسم في نظر الباحثين إلى نوعين:
    - أ- التكرير: الذي ينطوي على إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما.
    - ب- التّضام: وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوّة نظرا لارتباطهما بحكم علاقة ما مثل: ولد/بنت، جلس/وقف، أحبّ/كره، شمال/جنوب، أمر/خضع...
- وخلاصة هذا الطّرح: أنّ الانسجام شيء معطى في ذاته، يحصل الوصول إليه بتتبع أدوات الاتساق - المذكورة آنفا- داخل أي بنية لغوية، وفي ذلك تغييب واضح للجانب المتعلّق بالمتلقّي مستمعا كان أو قارئاً حسب تعبير محمد خطايي،<sup>11</sup> بالمقابل كانت جهود ج. براون Gillian Brown وج. يول George yule منصبّة من خلال مؤلفهما: تحليل الخطاب "Discourse Analysis" على إدخال كل من الكاتب والقارئ في قلب العملية التّواصلية باعتبار أنّ: "المتكلّمين/الكّتاب هم الذين يملكون المواضيع، الافتراضات، وهم الذين يعيّنون بنية المعلومات ويصنعون المرجعية"<sup>12</sup>، بينما "السامعون/القراء هم من يؤوّل ويستخلص النتائج"<sup>13</sup>.

<sup>11</sup> محمد خطايي: المصدر السابق، ص: 13.

<sup>12</sup> Gillian Brown And George yule : Discourse Analysis , p:ix.

<sup>13</sup> Ibid , p : ix.

وبناء على ذلك يحدّد براون ويول مبادئ الانسجام على النحو الآتي:

- السّياق: يتشكّل السّياق عند الباحثين من المتكلّم/الكاتب، المستمع/القارئ، الزمان والمكان، فعلى محلّل الخطاب أن يضع نصب عينيه دلالة السّياق لما له من أثر بالغ ودور فعّال في تضيق دائرة التّأويل وتوجيهه نحو الأصحّ.<sup>14</sup>
- التّأويل المحلّي: يعتبر تقييدا للطاقة التّأويليّة أو القراءات التّعسّفيّة لدى المتلقّي باعتماده على خصائص السّياق، وهو جزء لا يتجزّأ من استراتيجيّة عامّة هي: التشابه الذي تلميه علينا تجربتنا في مواجهة نصوص ومواقف سابقة تشبه لحدّ ما الموقف الذي نواجهه حالياً.<sup>15</sup>
- التّشابه: من المعلوم بالضرّورة أنّ إمكانيّة تكرّر نص ما بنفس الشّكل والأسلوب مع تغيّر الزمان والمكان يعدّ أمراً مستحيلاً، إلّا أنّ النّصوص على اختلاف إحداثيّاتها الزمانيّة والمكانيّة تتسم بخصائص نوعيّة نادرا ما يلحقها التّغيير، وداخل هذه الدائرة من الخصائص العامّة تأخذ التّجارب السّابقة للمتلقّي (نصوص مشابهة) دورها الفعّال في بلورة الفهم وصياغة تأويلات منسجمة.<sup>16</sup>
- التّغريض: لما كان الخطاب عبارة عن متتاليات من الجمل المتدرّجة من البداية إلى النّهاية، كانت أولى الجمل تؤثّر في الموالية لها؛ لأنّها الأكثر تعبيراً عن غرض الكاتب، أما الموالية فما هي إلّا شرح وتفسير للسّابق، وهكذا فإنّ عنوان خطاب ما يؤثّر على تأويل النّص ككل.<sup>17</sup>

والذي يظهر من خلال هذا العرض أنّ براون ويول نقلا مفهوم الانسجام من شكله المعطى لدى م.أ.ك.هليداي M.A.K.Halliday و رقيّة حسن Ruqaiya Hasan إلى شكله المفقود والمطلوب في آن واحد من المتلقّي باعتباره الموظّف لعمليّات ذهنيّة محدّدة تهدف لتحقيق انسجام النّص عبر انسجام تأويله، ولعلّه من خلال ما سبق ذكره يتبيّن لنا أنّ الاتساق أمر يتعلق بالجانب الشكلي/التركيبى، في حين أنّ الانسجام يتعلق بالجانب الدلالي/التداولي،<sup>18</sup> فالانسجام إذن أعم من الاتساق بل يعدّ هذا الأخير جزء من الانسجام وأحد أهم مظاهره، إذ كثيرا ما نجد نص ما قد توقّرت فيه أدوات الربط التّحويّة فهو متّسق شكلياً لكنه غير منسجم دلاليّاً، وباختصار شديد يمكننا القول بأنّ المقصود بالانسجام هو: مجموع العلاقات التي تربط بين أجزاء النّص داخليّاً (الروابط التّحويّة، المعجميّة، وغيرها...)، وخارجيّاً (الروابط السّياقيّة/المقاميّة).

<sup>14</sup> محمد خطايي: المصدر السّابق، ص: 52.

<sup>15</sup> المصدر نفسه، ص: 57/56.

<sup>16</sup> المصدر نفسه، ص: 58.

<sup>17</sup> المصدر نفسه، ص: 59.

<sup>18</sup> حمودي السعيد: الانسجام والاتساق النصي المفهوم والإشكال، ص: 23/22، -بتصرف-.

هذا ولا يعدم وجود محاولات أخرى جادة سواء في مجال اللسانيات النصية التي سعت إلى تنظير الاتساق وتأطير أدواته، أو على مستوى الممارسات الخطابية التي عنيت بالانسجام كمعبر عن "مرمى النص والمعارف المتبادلة بين المتلفظين والمشاركين في مقام تفاعل معين".<sup>19</sup>

وبالمقابل لم تكن المساهمات العربية في هذا المجال أقل شأنًا من نظيرتها الغربية، بل بدى الوعي بأهمية توقّف شرط الانسجام في الأعمال البلاغية والأدبية كضرورة ملحّة، فجاءت نظرية الفصل والوصل عند عبد القاهر الجرجاني أبلغ تعبير، إذ يقول في معرض التعريف بها: "اعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، وما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخالص، وإلا قوم طبعوا على البلاغة".<sup>20</sup>

توحي هذه الفقرة بمدى عمق الاهتمام بالترابط الشكلي داخل النصوص على اختلاف أنواعها (آيات قرآنية، نثر وشعر...)، ذلك ما يقصده الجرجاني بالعطف بين الجمل أو تركه، إلا أنّ أهمية هذا الكلام لا تكمن فقط في التأكيد على أسلوب الفصل والوصل كأداة نحوية لتحقيق الانسجام النصي، بل يتعدى الأمر إلى نقطة أدق، إذ يمنح الجرجاني للمتلقّي دورًا أساسيًا في عملية الفهم والتأويل، بل يرجع الكثير من الخلافات حول تفسير قول ما إلى الرصيد البلاغي الذي يحوزه القارئ، لا أدلّ على هذه المسألة من رأيه في من لا معرفة له بالنظم وأساليبه:

"والبلاء والداء العياء أنّ هذا الإحساس قليل في الناس... فأما الجهل بمكان الإساءة فلا تعدّهُ، فلست تملك إذا من أمرك شيئًا حتى تظفر بمن له طبع إذا قدحتهُ وري، وقلب إذا أريته رأى، فأما وصاحبك من لا يرى ما تريه، ولا يهتدي للذي تهديه، فأنت رام في غير مرمى، ومعن نفسك في غير جدوى، وكما لا تقيم الشعر في نفس من لا ذوق له، كذلك لا تفهم هذا الشأن من لم يؤت الآلة التي بها يفهم، إلا أنّه إنما يكون البلاء إذا ظلّ العادم لها أنّه أوتيتها، وأنّه ممن يكمل للحكم، ويصحّ منه القضاء، فجعل يقول القول لو علم غبّة لاستحى منه، فأما الذي يحسنّ بالنقص من نفسه، ويعلم أنّه قد عدم علما قد أوتيه سواه، فأنت منه في راحة، وهو رجل عاقل قد حماه عقله أن يعدّو طوره، وأن يتكلّف ما ليس بأهل له".

<sup>19</sup> من ألائك على سبيل المثال لا الحصر: ا.ر دي بوغراند، م.شارول، د.سلكتا، فان ديك، روجي شانك وغيرهم... أنظر: باتريك

شارودو ودومينيكا منغنو، المصدر السابق، ص: 101.

<sup>20</sup> عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، ص: 222.

فالمعنى إذن لا يتشكّل بمعزل عن المعارف والمكتسبات القبليّة للقارئ، فكلّ تشكيلة لغويّة تدخل في جدل مع ثقافة المتلقّي لتكوّن لديه إدراكا معيّنا وفهما محدّدا، وعلى قدر اتّساع المعارف السّابقة ودقّة صلتها بالموضوع الآني يحدث التطابق بين مراد المؤلّف وتأويل القارئ والعكس صحيح.

هذا بالضبط ما يفسّر لنا تعدّد وتضارب الآراء حول قضيّة ما، ففضلا عن كون الإنسان ينظر إلى المواضيع من زوايته الخاصّة بما يشبع رغبته المعرفيّة ويوجب عن تساؤلاته، فهو أيضا يختلف عن غيره ويتفاوت من حيث رصيده المعرفي الذي يتعامل به كأداة لتحليل وفهم ما حوله.

تبدو هذه الفكرة أكثر قربا من مسألة التشابه عند براون وبول، فالتجارب السّابقة أو النّصوص المشابهة هي بالضبط الآلة النّحويّة عند الجرجاني، وبالتّسبة لكلا الطّرفين فإنّ الانسجام يحدث بالارتكاز على قاعدة صلبة توّفرها المكتسبات القبليّة للمتلقّي/القارئ.

لقد أدرك اللغويّون العرب - بدورهم - أنّ النّص الأدبي يجب أن يكون وحدة واحدة متماسكة الأجزاء، فعبروا عن ذلك بعبارات عدّة منها: (الحبيك، السبك، الإفراغ والاتصال...)، وأشاروا إلى بعض أسس انسجام النّص واتساقه فهذا الجاحظ ينقل عن خلف قوله: "أجود الشّعر ما رأيت متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّهُ قد أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك سبكا واحداً، فهو يجري على اللّسان كما يجري الدّهان".<sup>21</sup>

وهذا ابن طبطبا يضيف: "ينبغي للشاعر أن يتأمّل تأليف شعره وتنسيق أبياته ويقف على حسن تجاورها أو قبحه ويلائم بينها لتتنظّم له معانيها ويتصل كلامه فيها".<sup>22</sup> إنّ انتظام المعاني واتصال الكلام بعضه ببعض في نظر ابن طبطبا يمنح الخطاب مبدأ التناسب المعنوي الذي يربط بين أجزاء النص الواحد ويحقّق له خاصيّة الانسجام،<sup>23</sup> وهذا ما نجده أيضا عند أبي هلال العسكري وهو يشيد بالشّعر لتميّزه على غيره بخاصيّة النّظم، يقول: "فمن مراتبه العالية التي لا يلحقه فيها شيء من الكلام النّظم الذي به زنة الألفاظ، وتمام حسنهما، وليس شيء من أصناف المنظومات يبلغ في قوّة اللفظ منزلة الشّعر".<sup>24</sup>

<sup>21</sup> الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ص: 67.

<sup>22</sup> ابن طبطبا: عيار الشّعر، تحقيق: عبد العزيز مانع، ص: 209.

<sup>23</sup> بوخولة بن الدين: التماسك النصي بين الدراسات البلاغية القديمة والدراسات اللسانيّة النصيّة الحديثة، ص: 2.

<sup>24</sup> الحسين بن عبد الله العسكري: الصّناعتين الكتابة والشّعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، ص: 137.

وعلى المهيع نفسه سار أسامة بن منقذ حين تطرّق لخاصّيتي الحبك والسبّك وما لهما من أثر على نفاضل الكلام والتّخيير بين بعضه بعض إذ يقول: "خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض".<sup>25</sup>

أمّا حازم القرطاجيّ فقد أبدع في وصف هيئات ترتيب الاقاول الشعريّة ونظام أوزانها في إدراك السّمع فجعلها بمنزلة وضع البيت الحقيقي: "فجعلوا (يقصد الشعراء) الأجزاء التي تقوم منها أبنية البيوت مقام الكسور لبيوت الشعر، وجعلوا أطراد الحركات فيها... بمنزلة أقطار البيوت التي تمتدّ في استواء، وجعلوا ملتقى كلّ قطرين وذلك حيث يفصل بين بعضها وبعض بالسواكن ركنًا... وجعلوا الوضع الذي يبني عليه منتهى شطر البيت وينقسم البيت عنده بنصفين بمنزلة عمود البيت... وجعلوا القافية بمنزلة تحصين الحباء والبيت من آخرهما وتحسينه من ظاهر وباطن..."<sup>26</sup> وبذلك تكون القصيدة وحدة واحدة وكلاً متكاملًا، كلّ جزء يخدم الآخر، في تجاذب مستمر وتسلّسل غير منقطع، من صدر إلى عجز، ومن عجز إلى صدر وهكذا دواليك.

#### الانسجام من منظور علماء القرآن وعلماء التفسير:

كان علماء القرآن على وعي تام بمسألة انسجام النص القرآني فعبروا عن ذلك بأشكال عدّة: تماسك/ جودة السبّك/ تأليف الكلام/ ترابط المعاني/ إحكام السرد/ التناسب..، لا أدلّ على ذلك من نصّ الزرقاني الذي صرّح فيه بلفظ الانسجام ذاته حيث يقول تحت عنوان: "جودة سبك القرآن وإحكام سرده" ما نصّه:

"ومعنى هذا أنّ القرآن بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره، مبلغاً لا يدانيه فيه أي كلام آخر، مع طول نفسه، وتنوّع مقاصده، وافتنانه وتلويحه في الموضوع الواحد.. فبين كلمات الجملة الواحدة من التّأخي والتّناسق، ما جعلها رائعة التّجانس والتّجاذب، وبين جمل السّورة الواحدة من التّشابك والتّرابط، ما جعلها وحدة صغيرة متآخذة الأجزاء متعانقة الآيات، وبين سور القرآن من التّناسب ما جعله كتاباً سويّ الخلق حسن السّمّت.. فكأنّما هو سبيكة واحدة.. تريك كمال الانسجام بين كلّ جزء وجزء، ثمّ بين كلّ حلقة وحلقة، ثمّ بين أوائل السّبيكة وأواخرها وأواسطها".

لقد ترجم هذا الوعي على أشكال عدّة تنوّع عن فكر عميق ونظرة ثاقبة، وإن طبع ذلك بطابع تطبيقي أكثر من كونه نظري كما سنلاحظ من خلال بروز أهميّة توقّر الانسجام عبر المستويات الآتية:

<sup>25</sup> أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، تحقيق: احمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، ص: 163.

<sup>26</sup> حازم القرطاجيّ: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب، ص: 225.

**1/ المستوى الصوتي:** تصدر الأصوات من الإنسان فتنقل أولاً خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن الإنسانية، ومنها إلى المخ فتترجم هناك وتفسّر، فالسمع هو الحاسة الطبيعية التي لا بد منها لفهم تلك الأصوات. لقد تمكّن الإنسان من خلال ما نسميه "كلام" أن يدرك أفكاراً أرقى وأسمى مما قد يدركه بالنظر الذي مهما عبّر فتعبيره يبقى محدود المعاني غامض المدلولات.<sup>27</sup>

هذا ما يؤكّد الفرضية القائلة بأن الخطاب يفقد بعض سماته الدلالية عند انتقاله من شكله المسموع إلى شكله المكتوب؛ فعلاً فالتصّ يستمدّ دلالاته من أسلوب الإلقاء وطريقة النطق، فضمّ الكلمات بعضها إلى بعض وفق أسلوب صوتي ما يخلق جوّاً مريحاً لفهم أفضل، قد يتعدّد مقارنة بوجود نص صامت (مكتوب) لا تدرك دلالاته إلاّ بواسطة حاسة البصر.

انطلاقاً من هذه القاعدة، كان الاعتناء الصوتي بالقرآن الكريم ضرورة لا معدّ عنها وذلك عبر مرحلتين:

الأولى كيفية التحمّل: يحصل ذلك بطريقة السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه،<sup>28</sup> وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخذ القرآن عن جبريل سماعاً وعرضاً، فقد أخذ الصحابة رضوان الله عليهم من فيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعهم في ذلك من بعدهم إلى أن وصل إلينا النص القرآني بشكله الصوتي الذي هو عليه الآن مقروناً بشرط التواتر، ثقة عن ثقة وإماماً عن إمام، فالمصاحف لم تكن ولن تكون هي العمدة في هذا الباب.<sup>29</sup>

والثانية كيفية الأداء: لا يقصد بذلك كميّات القراءة الثلاث (التحقيق، الحدر والتدوير) بقدر ما يقصد بها كميّة النطق وأساليب الإخراج الصوتي، ويتجلّى ذلك من خلال العناصر الآتية:

● **القراءات:** وهي "مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع

اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفات في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها".<sup>30</sup>

ولقبول القراءة ضوابط: أن توافق أحد المصاحف العثمانيّة ولو تقديراً، وأن توافق العربية ولو بوجه، وأن تكون صحيحة الإسناد.<sup>31</sup>

<sup>27</sup> إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 14/13.

<sup>28</sup> جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص: 211.

<sup>29</sup> محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج: 2، ص: 336.

<sup>30</sup> المصدر نفسه، ج: 2، ص: 336.

<sup>31</sup> المصدر نفسه، ص: 340.

وهي من جهة السند أنواع: <sup>32</sup>

1. المتواتر: هو ما نقله جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب.
2. المشهور: هو ما صحّ سنده ولم يبلغ درجة التواتر ووافق العربية والرسم، واشتهر عند القراء فلم يعدّوه من الغلط ولا من الشذوذ ويقرأ به.
3. الآحاد: وهو ما صحّ سنده وخالف الرسم أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ولا يقرأ به.
4. الشاذ: ما لم يصحّ سنده.
5. الموضوع: ما نسب إلى قائله من غير أصل.
6. المدرج: وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير. وعدم الاحتجاج بالثلاثة الأخيرة بيّن.

ليس الغرض من هذا الطرح التنظير لمسألة القراءات إنما الغرض يكمن في بيان أهمية هذا الباب في بناء المعنى وتكوين انسجام النص، وفي ذلك يقول الزركشي: "هو فنٌ جليل به تعرف جلاله المعاني وجزالتها"، <sup>33</sup> وإن كان هذا النص يأخذ مكانه على المستوى الدلالي أكثر؛ فإن الحديث عن أهمية تعدد القراءات في المستوى الصوتي يأخذ بعدا تأويليًا لا يمكن التغاضي عنه، يظهر ذلك جليًا من خلال:

1. مخارج الحروف: يقصد بها كَيْفِيَّة النطق بالحرف كالفتح والإمالة.
2. درجة الصّوت: يقصد بها الذبذبات الصوتية الرئيسية للمقاطع المتتابعة في التعبير، <sup>34</sup> كالقلقة والتفخيم والترقيق والشدة والرخاوة والهمس والجهر، إلخ....
3. طول الصّوت: وهو الزمن الذي يستغرقه الحرف، <sup>35</sup> فانسجام الكلام في نغماته يتطلّب طول بعض الأصوات وقصر البعض الآخر، ومثاله: أحكام الميم والنون المشدّتين، الإظهار، الإدغام، الإخفاء والإقلاب والمدود، ومن ذلك أيضا: ختم مقاطع الفواصل (آخر الآيات) بحروف المد واللين. <sup>36</sup>
4. الوقف والابتداء: لا شكّ أن اختبار التنفّس داخل نص ما هو أمر ذو علاقة وطيدة بدلالة المعاني واستمرار الفهم أو انقطاعه بالنسبة للسامع، يقول السيوطي نقلا عن ابن الجزري: "لما لم يمكن القارئ أن يقرأ السورة أو القصّة في نفس واحد، ولم يجز التنفّس بين كلمتين حال الوصل، بل ذلك كالتنفّس في

---

<sup>32</sup> جلال الدين السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص: 166، و محمد عبد العظيم الزرقاني: المصدر السابق، ج: 2، ص: 349.

<sup>33</sup> بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص: 235.

<sup>34</sup> سليمان حسن العاني: المرجع السابق، ص: 141.

<sup>35</sup> إبراهيم أنيس: المصدر السابق، ص: 82.

<sup>36</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ص: 60.

أثناء الكلمة، وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة وتعيّن ارتضاء ابتداء بعده، ويتحتم أن لا يكون ذلك مما يحيل المعنى ولا يحل بالفهم".<sup>37</sup>

فكأن ابن الجزري يقول: السورة على تعدد آياتها ومواضيعها متّحدة الأجزاء، لدرجة أنه لو كان للنفس قدرة على بثّها دفعة واحدة لكان أجود، فوجب على القارئ أن ينقل هذا الانسجام الذي بداخلها إلى سامعه دون خلل، ولا يحصل ذلك إلا باختيار مواطن الوقف والابتداء.

لقد لخص الزرقاني العناصر الأربعة السابق ذكرها مبرزاً تعاضدها في تحقيق انسجام النص القرآني حين قال: "نريد بنظام القرآن الصوتي اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته، ومدّاته، وغنّاته، واتصالاته وسكناته، اتساقاً عجيباً وائتلافاً رائعاً، يسترعي الأسماع ويستهوّي النفوس، بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أيّ كلام آخر من منظوم ومنثور".

إنّ مسألة تباين القراءات وتعدّد أنواعها إلى متواترة، مشهورة، شاذّة، موضوعة ومدرجة، وكذا اختلاف أسلوب النطق وكيفية الأداء من قارئ إلى آخر، بل داخل الرواية الواحدة أي من طريق إلى آخر، يجعل السامع أمام مجموعة من الفهم التي يملئها عليه سمعه بالتفاعل مع مدركاته السابقة في عملية جدليّة مستمرة، فالإنسان يختلف باختلاف الزمان والمكان كمتلقّي/سامع أو قارئ/ناطق.

كما يندرج تحت هذا المستوى أيضاً:

● **معرفة الفواصل:** "وهي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقريظة السجع"،<sup>38</sup> وهو باب جليل في تقرير المعاني وائتلاف الكلام بالنسبة للسامع، وفي ذلك يقول الزركشي: "اعلم أنّ إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكّدة جدّاً، ومؤثّرة في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه في اليقين من النفس تأثيراً عظيماً".<sup>39</sup>

ثمّ ذكر بعض المواضع التي جاءت فيها الفاصلة مراعاة لنظم الكلام فعّد:<sup>40</sup>

الأولى: زيادة حرف، كإلحاق الألف بالظنون في قوله تعالى: **چگ گ گچ** (الأحزاب: 10)، لأنّ مقاطع فواصل هذه السورة ألفات منقلبة عن التنوين في الوقف فزيد على النون ألف لتساوي المقاطع.

<sup>37</sup> جلال الدين السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص: 176.

<sup>38</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ص: 50.

<sup>39</sup> المصدر نفسه، ص: 55.

<sup>40</sup> المصدر نفسه، ص: 55-59.



المونقة في السّمع، السلسلة على اللّسان، إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة، فأما أن تحمل المعاني ويهتّم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه على بال، فليس من البلاغة في فتيل أو نقيير".<sup>41</sup>

فانسجام الفواصل مع تركيب الكلام يزيد السّامع تهيئاً للفهم، ويحدث في نفسه أثراً فعّالاً يترجم في عملية تأويلية متّصلة الخيوط مع ما تتلقاه أذناه أو ما ينطق به.

● **بناء السورة على حرف واحد:** قد تستفتح السورة أحيانا ببعض حروف اللّغة، ثم نلاحظ أنّ الكلمات التي ترددت داخل السّورة تتألف من نفس الحرف/الحروف التي تم الافتتاح بها سابقا، وربما دلالة الكلمات معصّدة للسّمات الصّوتية لتلك الحروف،<sup>42</sup> يقول الزركشي: وتأمّل السّورة التي اجتمعت على الحروف المفردة كيف تجد السّورة مبنية على كلمة ذلك الحرف، فمن ذلك "ق والقرآن المجيد" فإن السورة مبنية على الكلمات القافية من: ذكر القرآن، ومن ذكر الخلق، وتكرار القول ومراجعته مرارا، والقرب من ابن آدم، وتلقي الملكين... وسرّ آخر وهو أنّ كلّ معاني السّورة مناسب لما في حرف القاف من الشّدّة والجهر والقلقلة والانفتاح"<sup>43</sup>.

**2/ المستوى النحوي:** يتجلّى الانسجام من خلال هذا المستوى عبر الرّوابط التي تستثمر في تحقيق تماسك الكلام واتّصال حلقاته وهي أنواع:

1/ العطف: يرى الزركشي أنّ العطف له أقسام عدّة من بينها:

أ- عطف المفرد على مثله: وفائدته تحقيق مشاكلة الثاني للأول في الإعراب ليتّصل الكلام ببعضه ببعض.

ب- عطف جملة على جملة وهو عند أهل البيان ثلاثة أحوال:

الأول: أن يكون ما قبلها منزلة الصّفة من الموصوف، والتأكيد من المؤكّد فلا يدخلها عطف من شدة الامتزاج.

الثانية: أن يغيّر ما قبلها وليس بينهما نوع من الارتباط بوجه فلا عطف أيضا.

الثالثة: أن يغيّر ما قبلها لكن بينهما نوع ارتباط وهذه هي التي يتوسّطها العاطف.

الرابعة: أن يكون بتقدير الاستئناف إجابة على السؤال: لم كان كذا؟ فهنا لا عطف أيضا.

<sup>41</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ص: 61.

<sup>42</sup> محمد خطاي: المصدر السابق، ص: 197.

<sup>43</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ص: 121/120.



ولعلّ المسألة تزداد تعقيدا بطرح إشكاليّة قلب المعطوف والعكس نحو قوله تعالى **چ ج چ ج چ**، وكذا احتمال حذف المعطوف من المعطوف عليه نحو قوله تعالى **چ □ □ □ □ □ □ □ □** **چ** الإسرائ: ١٦.

2/ الضمائر: قد يستدعي المقام في بعض الأحيان إضمارا بدل إظهار، ولذلك أسباب عدّة: كالاختصار، التفخيم والتحقير،<sup>45</sup> ويذكر الزركشي أن ضمير الغيبة عند النحويّين أقسام:<sup>46</sup> أحدها: وهو الأصل، أن يعود إلى شيء سبق ذكره في اللفظ بالمطابقة نحو قوله تعالى: **چ ئ كئ كئ كئ** (طه: 121).

الثاني: أن يعود على مذكور في سياق الكلام مؤخر في اللفظ مقدّم في النية نحو قوله تعالى: **چ ف ف ف ف ف** (طه: 67).

الثالث: أن يذكر اللفظ على صاحب الضمير بالتضمّن نحو قوله تعالى: **چ و و و و و** (المائدة: 8).

الرابع: أن يدلّ عليه بالالتزام كإضمار النفس في قوله تعالى: **چ ق ق ق ق ق** (الواقعة: 83).

الخامس: أن يدلّ عليه السياق، فيضمّر ثقة بفهم السّامع، كإضمار الأرض في قوله تعالى: **چ ي ي ي ي ي** (الرحمان: 26).

السادس: أن لا يعود على شيء فهو الضمير المجهول الذي يلزمه التفسير بجملته أو مفرد نحو قوله تعالى **چ أ ب ب ب ب**.

ثمّ يضيف الزركشي على ذلك بعض أحوال الضمائر وعوائدها:

- قد يعود على لفظ شيء والمراد به جنس من ذلك الشيء نحو قوله تعالى: **چ ق ق ق ق ق** (البقرة: 25).

- قد يذكر شيئا ويعود الضمير على أحدهما، ثمّ الغالب أن يكون للثاني نحو قوله تعالى: **چ ئ ئ ئ ئ ئ** (البقرة: 45).

- قد يذكر الضمير شيئا ويعود الضمير جمعا؛ لأنّ الاثنين جمع في المعنى كقوله تعالى: **چ ط ط ط ط ط** (الأنعام: 78)، يعني: حكم سليمان وداود.

<sup>45</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، نقلا عن ابن الأنباري، ص: 933.

<sup>46</sup> المصدر نفسه، ص: 934.

- قد يجيء الضمير متصلا بشيء وهو لغيره نحو قوله تعالى: **چ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ** (المؤمنون: 12)، والمقصود: آدم، **چ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ** (المؤمنون: 13)، يعني: ولده؛ لأن آدم لم يخلق من نطفة.

- الأصل في الضمير عودته إلى أقرب مذکور، ولنا أصل آخر أنه إذا جاء مضاف ومضاف إليه وذكر بعدهما ضمير عاد إلى المضاف؛ لأنه المحدّث عنه دون المضاف إليه، وعند التعارض ينقل الزركشي ثلاثة آراء:

الأول: مراعاة الأصل الأول، وهو ما ذهب إليه كل من ابن حزم والماوردي في قول له.

الثاني: أن عودة الضمير للأقرب ليس بمطرّد فقد يخرج عن الأصل للدليل، وإذا تعارض الأصلان تساقطا، ونظر في الترجيح من الخارج، وهو قول الجمهور.

الثالث: عوده إلى ما فيه العمل بهما في قول آخر للماوردي.

- يجوز حذف الضمير للعمل به كقوله تعالى: **چ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ** (الفرقان: 41).

- المضمّر لا يكون إلا بعد الظاهر لفظا أو مرتبة أو لفظا ومرتبة، وهو بجانب ذلك: لا يعود إلا على مشاهد محسوس.

إنّ حصر أحوال الضمير مع عائده بهذا الشكل يوجّه الفهم ويقلّل من مجانبته للصواب، إلا أن عدم اطراد قاعدة عائذ الضمير إلى الأقرب ذكرا أو إلى المضاف يحيل الفهم على مجموعة من العوائد/الإحالات التي تكون متصلة دلاليا مع السياق، في انسجام تأويلي لا يسمح بإقصاء أي نوع من تلك الفهوم، ولعلّ المثال الآتي يجلّي المقصود: يقول الله تعالى: **چ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ** (البقرة: 45)، ذكر صاحب زاد المسير في عائذ الضمير (ها) ثلاثة أقوال:<sup>47</sup>

القول الأول: الصلاة عند ابن عباس والحسن ومجاهد والجمهور.

القول الثاني: الكعبة والقبلة؛ لأنه لما ذكر الصلاة دلت على القبلة، وهو رأي مقاتل وابن عباس في رواية أخرى.

القول الثالث: الاستعانة وهو ما ذهب إليه محمد بن القاسم النحوي.

وأضاف ابن كثير قولاً رابعا مفاده: احتمال عودته على ما يدلّ عليه الكلام وهو الوصيّة بذلك لأهل الإيمان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.<sup>48</sup>

<sup>47</sup> جمال الدين عبد الرحمان الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، ج: 1، ص: 76.

<sup>48</sup> إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص: 127.

بينما جوّز الزمخشري ورود قول خامس: بأن يكون عائد الضمير إلى جميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله تعالى: "اذكروا نعمتي" إلى "واستعينوا".<sup>49</sup>

نحن هنا أمام خمسة فهوم متفاوتة في المعنى، أما الثلاثة الأولى فتخضع لقاعدة "عودة الضمير إلى الأقرب ذكراً"، وإن كان القول الثاني تأويل لجزء من ماهية الصلاة، والثالث أبعد موقعاً منها، ورغم ذلك نلاحظ "تطابق بين الضمير (ها) وبين المحال إليه إفراداً وتأنيثاً"<sup>50</sup> سواء في الاستعانة أو في الصلاة. أما ما تبقى من الأقوال فمحكوم بسياق الآيات المذكورة آنفاً، ويبقى الإشكال المطروح: من هو المقصود بالخطاب؟ هل هم المؤمنون على القول الرابع؟ أم هم بنو إسرائيل على القول الخامس؟

وبحثنا عن انسجام تأويلي أدق يلجأ الرازي إلى الجمع بين القولين مع ترجيح قوّة الثاني على الأول حيث يقول: "لا يمتنع أن يكون الخطاب أولاً في بني إسرائيل ثم يقع بعد ذلك خطاباً للمؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم، والأقرب أن المخاطبين هم بنو إسرائيل لأنّ صرف الخطاب إلى غيرهم يوجب تفكيك النظم".<sup>51</sup>

**3/ المستوى الصرفي:** أخذ البحث عن معنى اللفظ ومعاني الكلمات حظاً وافراً من كتب التفسير وعلوم القرآن، بل رأت هذه الأخيرة "أنّ قوة اللفظ لقوّة المعنى"،<sup>52</sup> وهذا الزركشي يشيد بأهميّة هذا الباب وما له من علاقة في تحقيق انسجام النص وتماسك أجزائه: "هذا العلم أعظم أركان المفسّر، فإنه لا بدّ من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز وتأليف النظم وأن يواخي بين الموارد ويعتمد ما سبق له الكلام حتى لا يتنافر".<sup>53</sup>

وجعل الزرقاني من خصائص القرآن: "قصد القرآن في اللفظ مع وفائه بالمعنى: ومعنى هذا أنّك في كلّ من جمل القرآن تجد بياناً قاصداً مقدّراً على حاجة النفوس البشريّة من الهداية الإلهيّة، دون أن يزيد اللفظ على المعنى، أو يقصر عن الوفاء بمحاجات الخلق من هداية الخالق؛"<sup>54</sup> فيتجلى المعنى في صورته الكاملة لا إسراف ولا تقتير، ولو أوكل ذلك إلى منطوق بليغ -على رأي صاحب مناهل العرفان- لكان حاله كالزوج بين ضربتين بمقدار ما يرضي الأولى يغضب الثانية، فإنّ عمد إلى القصد في اللفظ حمّله ذلك على أن يغضّ من شأن المعنى بل قد يصل به الحال إلى تعمية وإلغاز يصعب فكّه، وإن ألقى باله لجلاء المعنى ووضوح صورته ركب متن الإسهاب والإكثار

<sup>49</sup> محمد بن عمر الزمخشري: الكشاف، ج: 1، ص: 262.

<sup>50</sup> محمد خطابي: المصدر السابق، ص: 173.

<sup>51</sup> فخر الدين الرازي: المصدر السابق، ج: 3، ص: 51.

<sup>52</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ص: 643.

<sup>53</sup> المصدر نفسه، ص: 217.

<sup>54</sup> محمد عبد العظيم الزرقاني: المصدر السابق، ج: 2، ص: 254.



فلفظ الفاسق به شحنة سلبية تحمل العديد من المعاني التي ينفر منها الإنسان بل تدعوه الكلمة إلى نوع من الريبة والشك في كل ما يتعلّق بالشخص الموصوف بها، وإذا كان سياق الآية يتحدّث عن ثبوت خير من عدمه بجانب أمر الله سبحانه وتعالى بالثبّت؛ فإنّ لفظ الفاسق ينسجم مع وجود هذا الزوج خير/ثبّت.

يعكّر على هذا المستوى مسألة الاشتراك اللفظي فقد يحمل اللفظ الواحد معنيين أو أكثر وكلاهما يختلف عن الآخر لدرجة التضاد، وتوظيف ذلك اللفظ وسط الآية يصعب الجزم بأحد المعاني نظرا للتساويها في القوّة وتعادها في خدمة السياق، ومثاله لفظ "القروء" في قوله تعالى: **چ چ چ چ چ چ چ**، وما كان له من أثر في اختلاف الفهم: فذهب الشافعي ومالك وأحمد في رواية له إلى أنّ القروء هي الأطهار، وهو قول عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت والفقهاء السبعة.<sup>60</sup> وذهب أبو حنيفة وأحمد في رواية أخرى إلى أنّ القروء هو الحيض، كما نقل أيضا عن الخلفاء الراشدين.<sup>61</sup>

وعلى نفس الوتيرة يزداد الأمر تعقيدا بالنسبة لمسألة الحقيقة والمجاز، ففضلا عن الخلاف الغير محسوم في وقوع المجاز من عدمه في القرآن الكريم، يبقى اللفظ عاجزا عن التعاطي مع نظم الآيات لتذبذبه بين استعماله فيما وضع له اصطلاحا على وجه يقع به التخاطب أو على أساس استعماله في غير ما وضع له في اصطلاح مسموح به في المجال الخطابي؛ لا أدلّ على خطورة مبحث الحقيقة والمجاز في مسألة تأويل آيات الصفات كقوله تعالى: **چ □ □ □ □** (الفجر: 22)، وقوله تعالى: **چ ذ ث ت ث ت ث ت** (الشورى: 11).

**4/ المستوى المعجمي:** يتجلى مدى الاهتمام بمدأ انسجام النص واتساقه في هذا المستوى من خلال مظهر التكرير الذي أولى له الزركشي نوعا خاصا في البرهان، ودافع عنه بقوة، يقول: "قد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظنا أنه لا فائدة له، وليس كذلك بل هو من محاسنها لاسيما إذا تعلّق ببعضه ببعض"<sup>62</sup>.

فللتكرير إذن مرتبة عظيمة في علوم القرآن وهو في حقيقته يعني: "إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى خشية تناسي الأول لطول العهد به، فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه"<sup>63</sup>.

أما اقتران التقرير بتعريف التكرير عند الزركشي فذلك لكونه أعظم فائدة تترجى منه أخذا بقاعدة: "الكلام إذا تكرر تقرر"، إلا أن ذلك لم يمنع صاحب البرهان من عدّ مجموعة أخرى من الفوائد المترتبة عن ظاهرة التكرير

<sup>60</sup> سعد الفنيسان: اختلاف المفسرين -أسبابه وآثاره-، ص: 100.

<sup>61</sup> المصدر نفسه.

<sup>62</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ص: 627.

<sup>63</sup> المصدر نفسه، ص: 628.





كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والتظيرين والضدين،<sup>71</sup> وغيرها من أنواع العلاقات التي يفضلها بصير "التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"<sup>72</sup> حتى يكون القرآن "كالكلمة الواحدة"<sup>73</sup>.

والمناسبة في علوم القرآن تأخذ أشكالا وأنواعا عدة نذكرها على الترتيب الآتي:

1. المناسبة داخل الآية الواحدة: يفرد لها الزركشي عنوانا خاصا يسمه ب: "اتئلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام"، ويقول في هذا السياق: "اعلم أنّ من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بدّ أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولا وإلا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب"، وفيها أربعة أقسام:<sup>74</sup>

التصدير: إذا تقدّم لفظها بعينه.

التوشيح: إذا كان في أثناء الصدر، ودلالة التصدير لفظية بينما دلالة التوشيح معنوية.

الإيغال: إذا أفادت معنى زائدا بعد تمام معنى الكلام.

التمكين: وهو أن يمهد قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة مستقرّة ومطمئنة في موضعها، غير نافذة ولا قلقة، متعلقة المعنى بالكلام كلّ بحيث لو طرحت اختلّ المعنى واضطرب الفهم.

2. المناسبة بين الآيات: ذكر الآية بعد الأخرى عند الزركشي لا يخرج عن حالتين:<sup>75</sup>

- إما أن يكون وجه الترابط فيها واضحا لتعلق الكلام ببعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى، أو إذا جاءت الثانية على جهة التأكيد والتفسير أو الاعتراض والتشديد وهذا القسم لا كلام فيه.

- وإما أن لا يظهر الارتباط، بل يظهر أنّ كلّ جملة مستقلة عن الأخرى، وهذا القسم هو الذي يبحث فيه عن وجه التلازم بين الآية وتالياتها، ويقسمه الزركشي إلى قسمين:<sup>76</sup>

الأول: ما وقع فيه العطف (هذا القسم تمّ التطرّق إليه في المستوى النحوي).

<sup>71</sup> جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص: 631.

<sup>72</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ص: 36.

<sup>73</sup> المصدر نفسه، ص: 37.

<sup>74</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ص: 65.

<sup>75</sup> المصدر نفسه، ص: 39.

<sup>76</sup> المصدر نفسه، ص: 44.

الثاني: أن يعدم العطف، وحينئذ لا بدّ من دعامة تؤدّن باتّصال الكلام، وهي قرائن معنويّة مؤدّنة بالربط حيث تنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني، وله أسباب:  
أحدها: التنظير؛ فإنّ إلحاق التّظير بالتّظير من دأب العقلاء.<sup>77</sup>  
والثاني: المضادّة؛ على قول من قال: "بضدّها تتبيّن الأشياء".<sup>78</sup>  
والثالث: الاستطراد؛ وفيه يتم التنقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلس اختلاسا مع دقّة المعنى، بحيث لا يشعر السّامع بالانتقال من المعنى الأوّل إلّا وقد وقع عليه الثاني من شدّة الالتئام بينهما.<sup>79</sup>

3. المناسبة داخل السورة الواحدة: إنّ الحديث عن تماسك أجزاء السورة الواحدة يحيل العقل بالدرجة الأولى إلى التّساؤل عن علاقة اسم السورة بمحتواها/مضمونها، ذلك المبدأ الذي أطلق عليه براون ويول اسم "التغريض" هو نفسه الذي يقصده الزركشي بقوله: "ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سمّيت به"<sup>80</sup>، إذ يحمل اسم السورة من الدلالات ما يوجّه أو يقوّي الفهم الدّخلي لآياتها.

ونظرا إلى أنّ "التناسب هو الذي يضع الآيات في سياقها الدّخلي العام والخاص"<sup>81</sup>، فإنّ غيابه يعني تشتت الكلام وتنافر المعاني، "مما قد يثير قلقا متزايدا اتجاه انسجام النص القرآني"<sup>82</sup>، لهذا حرص علماء القرآن على وضع الآليات اللازمة للوصول إلى إيجاد التّناسب ومن ذلك:

أوّلا: التّظر إلى الغرض الذي سيقّت له السورة وما يحتاج إليه ذلك الغرض من مقدّمات، ومراتب لتلك المقدّمات في القرب والبعد من المطلوب وما تستتبعه من استشراف نفس السّامع إلى الأحكام أو اللّوازم التّابعة له.<sup>83</sup>

ثانيا: تنوّع الخطاب داخل السورة الواحدة،<sup>84</sup> فقد تحتوي كل سورة على مجموعة مختلفة من المواضيع التي يحصل الربط بينها بتأمل ترتيبها، "ويؤكّد هذا حرص علماء القرآن على ضمان الحدّ الأقصى من إمكانات النصّ الدّاخلية عن التّناسق والانتظام"<sup>85</sup>.

<sup>77</sup> المصدر نفسه، ص: 44.

<sup>78</sup> المصدر نفسه، ص: 47.

<sup>79</sup> جلال الدين السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص: 632.

<sup>80</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ص: 190.

<sup>81</sup> حياة يعقوبي: المصدر السابق، ص: 290.

<sup>82</sup> المصدر نفسه.

<sup>83</sup> جلال الدين السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص: 634/633.

<sup>84</sup> المصدر نفسه، ص: 634.

ثالثا: استثمار سياقات أخرى لإثبات وجود التناسب كتبرير لغيابه في ظل السياق الأصلي،<sup>86</sup> سواء كان ذلك بالاستنجد بمواضع أخرى من القرآن الكريم أو بأحاديث من السنة الصحيحة.

ومن هذا النوع أيضا:

مناسبة فاتحة السورة لخاتمها، ومثاله ما جاء في سورة القصص، استهلّت بأمر موسى ونصرته وقوله تعالى: **چڭ** **گڭ** **ڭڭ** **چڭ** (القصص: 17)، وخروجه من وطنه، وختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن لا يكون ظهيرا للكافرين وتسليية عن إخراجهم من مكّة ووعد بالعود إليها لقوله تعالى في أول السورة: **چڭ** **ڭڭ** **چڭ** (القصص: 7).

4. تناسب السور: إن الحديث عن مسألة ترابط السور وحقيقة تتاليها يفرض علينا بداية أن نتحدّث عن ترتيب السور: هل هو توقيفي أم اجتهادي؟

هذا السؤال يقف كعائق يحول دون تحقيق الانسجام المنشود بين سور القرآن الكريم، لذلك نلحظ اهتمام علماء القرآن بالإجابة عنه رفعا للإشكال ودعما لمبدأ المناسبة، حيث يحكي السيوطي خلاف العلماء حول ترتيب السور في المصحف الكريم ويقسّمه إلى موقفين:<sup>88</sup>

- يذهب الفريق الأول إلى أنّ ترتيب السور تمّ باجتهاد من الصحابة، وهو رأي جمهور العلماء ومنهم: مالك والقاضي أبو بكر في أحد قوليه، وابن فارس...

- بينما يرى الفريق الثاني أنّ الترتيب تم بتوقيف من الرسول صلى الله عليه وسلم، ويمثّل هذا الرأي جمع من العلماء منهم: الكرماني وأبو بكر الأنباري وابن الحصار والبيهقي وغيرهم...

- ويضيف الزركشي موقفا ثالثا تبناه ابن عطية ذهب فيه إلى رأي وسط، حيث يعتقد أنّ: كثيرا من السور قد علم ترتيبها في حياته صلى الله عليه وسلم كالسبع الطوال والحواميم والمفصل، أما ما سواه فأوكل للأمة بعده.<sup>89</sup>

<sup>85</sup> حياة يعقوبي: المصدر السابق، ص: 291.

<sup>86</sup> جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق.

<sup>87</sup> جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص: 635.

<sup>88</sup> المصدر نفسه، ص: 137/138.

<sup>89</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ص: 181.

أما السيوطي فاختار القول بتوقيفية الترتيب، بل دافع عنه بشدة ولا يستغرب ذلك منه وهو من أكبر العلماء الذين خاضوا في مسألة المناسبة خاصة في مؤلفه المشهور: تناسق الدرر في تناسب السور، أين بنى تصوّره حول انسجام النص القرآني عبر ما أسماه بقاعدة: "الإجمال والتفصيل بين السور"، إذ يعتمد في ذلك على الاعتقاد بوجود مجموعة من العناصر المزروعة في سورة معيّنة، يقع تنميتها في سورة/ سور لاحقة، بل قد تكون سورة بأكملها—في نظره— تنمية لآية أو آيتين وردتا في سورة سابقة، دون أن تخلو السورة اللاحقة بدورها من عناصر قابلة للتّموا فيما يليها من السور؛ حيث يسير كل ما سبق في اتجاهين معاكسين: مد/جزر، ذهاب/إياب.<sup>90</sup>

وبنفس الدرجة من الثقة يختار الزركشي أيضا القول الثاني على اعتبار أن الخلاف لفظي وكل الأقوال تخدم توقيفية الترتيب، بدليل أنّ من تبى الرأي الأول يقول: "إنّه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته، ولهذا قال الإمام مالك: إنّما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم، مع قوله أنّ ترتيب السور اجتهاد منهم، فالخلاف إلى أنّه: هل ذلك بتوقيف قولي أم مجرد إسناد فعلي؟"<sup>91</sup>، وفي كلا الحالتين يكون ترتيب السور توقيفي من النبي صلى الله عليه وسلم لا اجتهاد للصحابة فيه.

وأخذا بهذا الرأي يسير كل من السيوطي والزركشي في عدّ صور المناسبة، ويبتشركان تحت هذا الباب عنوان:

مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها: حيث تتعلّق كل سورة بسابقتها إمّا لفظا أو معنى.<sup>92</sup>

5. ويضاف إلى مستويات المناسبة أيضا ما يطلق عليه علاقة: العموم والخصوص، الإطلاق والتقييد، التفسير والبيان، التّكسّم والتأخير،<sup>93</sup> الإيجاز والإطناب؛<sup>94</sup> إذ الحكم بوجود إحدى هذه العلاقات داخل النص القرآني هو أمر مرتبط أساسا بتحقق المناسبة بين كلّ ثنائية سبق ذكرها.

وكمثال تطبيقي لهذا المستوى نختار قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبُذُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَاطِنًا فِي السُّمُومِ﴾ (القيامة: 17)، لتساءل عن وجه مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها من الآيات التي وضعت في سياقها، وبعد البحث والاستقراء نلاحظ وجود عدّة أقوال نذكر منها على سبيل التّذليل:

<sup>90</sup> محمد خطايي: المصدر السابق، ص: 202/201.

<sup>91</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ص: 181.

<sup>92</sup> المصدر نفسه، ص: 131، وجلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص: 636.

<sup>93</sup> المصدر نفسه، ص: 770/436/338/340..

<sup>94</sup> جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص: 528.







- وإما أن تكتفي دلالة اللفظ بالدور الأول وتستقل بنفسها عما وضعت معه الآية، فيكون السبب الخاص داعما لفهم تلك الآية، وتكون المناسبة داعمة لاتصال الكلام بعبءه وهو انسجام مضاعف.

فالإشكال إذن لا يكمن في تنازع السبب والمناسبة؛ بل في أولوية ذكر أحدهما على الآخر ترتيبا، هذا ما يفهم بوضوح تام من خلال جواب الزركشي عن الإشكال: "والتحقيق: التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفا على سبب النزول... فهذا ينبغي فيه تقديم السبب لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد، وإن لم يتوقف على ذلك، فالأولى تقديم وجه المناسبة".<sup>104</sup>

المسألة الثانية: اختلف في قول الصحابي: "نزلت هذه الآية في كذا" إلى قولين:

الأول: أنه نص في السببية وهو حديث مسند على قول البخاري والحاكم وابن الصلاح.<sup>105</sup>

والثاني: أنه نص في تفسير الآية لا يأخذ حكم المسند على قول مسلم وأحمد وغيرهما، وهو اختيار الزركشي في البرهان،<sup>106</sup> والزرقاني في مناهل العرفان.<sup>107</sup>

وسواء كان قول الصحابي نصا في السببية أو تأويلا للآية، فهم أعلم الناس بالقرآن رضوان الله عليهم، وإذا صح السند إليهم كان ذلك النص معينا لفهم في كل الأحوال وليس عائقا مطلقا في وجه تحقيق الانسجام.

المسألة الثالثة: خروجنا من الإشكال يقول الزرقاني: "أما القرآن فقد حرق العادة في هذه الناحية أيضا: نزل مفرقا منجما لكنه تم مترابطا محكما، وتفرقت نجومه تفرق الأسباب، ولكن اجتمع نظمه اجتماع شمل الأحباب، ولم يتكامل نزوله إلا بعد عشرين عاما، ولكن تكامل انسجامه بداية وختاما!!"<sup>108</sup>، فما الدليل على كلام الزرقاني، وعلى أي جدار صلب اتكأ الرجل؟

لقد انتهى بعض علماء القرآن بما فيهم الزرقاني إلى أن "فصل الخطاب أئها - الآيات - على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سورة كله وآياته بالتوقيف"<sup>109</sup>.

<sup>104</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ص: 35.

<sup>105</sup> جلال الدين السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص: 76.

<sup>106</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ص: 33.

<sup>107</sup> محمد عبد العظيم الزرقاني: المصدر السابق، ج: 1، ص: 95.

<sup>108</sup> المصدر نفسه، ص: 53.

<sup>109</sup> بدر الدين الزركشي: المصدر السابق، ص: 37.

إلا أنّ هذا القول الذي أورده الزركشي في البرهان لا يسلم هو الآخر من وجود بعض التناقضات؛ فحسم القول بتوقيفية الآيات يمثل حلاً فعلياً للخروج "من مأزق التصادم بين التنجيم وبين الآيات والمناسبة"<sup>110</sup>؛ إلا أنّ عدم الجزم بتوقيفية ترتيب السور يبقى عائقاً يحول دون تحقيق الصورة الكاملة لمبدأ الانسجام في القرآن الكريم.

المسألة الرابعة: هذه المسألة كانت دافعا لظهور البحث عن عموم اللفظ وخصوص السبب؛ إذ استقرّ الجمهور على أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، بينما اختار غيرهم عكس ذلك.<sup>111</sup>

وأياً كان الخلاف حول القضية فإنّ "حكم النص العام الوارد على سبب يتعدى عند هؤلاء وهؤلاء أفراد غير السبب؛ بيد أنّ الجمهور يقولون: إنّه يتناولهم بهذا النص نفسه، وغير الجمهور يقولون: إنّه لا يتناولهم إلاّ قياساً أو بنصّ آخر.."<sup>112</sup>، ولم يثبت قطُّ أن قال عاقل أنّ السبب ارتبط بشخص/أشخاص معيّنين زمن النزول وانقضى بموتهم، وبناء عليه تسقط الدعوى القائلة بجمود بعض الآيات أو ما يعبر عنه بآتية الحوادث.

المسألة الخامسة: كمحاولة للإجابة عن الإشكال الواقع في هذه المسألة يذكر الزرقاني في تعدّد السبب مع وحدة التازل صوراً نجملها في الآتي:<sup>113</sup>

الصورة الأولى: كلّ الروايات صريحة في السببية، إلاّ أنّ واحدة منها صحيحة والأخرى غير صحيحة، فيؤخذ بالأولى.

الصورة الثانية: كلّ الروايات صريحة في السببية، صحيحة السند، مع وجود مرجح لإحداها على البقية (كزيادة في الصحة أو شهادة الراوي للقصة)، فحكمها أن نأخذ في بيان السبب بالراجحة دون المرجوحة.

الصورة الثالثة: كلّ الروايات صريحة في السببية، متساوية في درجة الصحة مع إمكانية الجمع بينها لتقارب الزمن، فحكم هذه الصورة أن يحمل الأمر على تعدّد السبب.

الصورة الرابعة: تطابق السابقة إلاّ أنّه لا يمكن الجمع بين الروايات لتباعد الزمن بين الأسباب، فحكمها أن يحمل الأمر على تكرار التّزول بعدد الأسباب.

<sup>110</sup> حياة يعقوبي: المصدر السابق، ص: 288.

<sup>111</sup> محمد عبد العظيم الزرقاني: المصدر السابق، ص: 106.

<sup>112</sup> المصدر نفسه.

<sup>113</sup> المصدر نفسه، ص: 97-100.





- ترجيح القراءات القرآنية وتوجيهها لخدمة تفسير الآية.
- الإحاطة بجميع العلوم المساعدة على فهم جيد للنصوص القرآنية على اختلاف أنواعها.
- اختيار اتجاه معيّن في التفسير: داخلي/بالمأثور، خارجي/بالرأي.
- الانتقال الموضوعاتي في السورة الواحدة.
- تكرار المواضيع نفسها عبر سور مختلفة.
- اختلاف ترتيب المصحف عن ترتيب التنزيل.
- تناقض بين بعض الآيات في السور المختلفة.
- تجاوز السبب والمناسبة في ذات الوقت داخل سياق معيّن.
- تعدّد روايات السبب مع وحدة التأزل.
- دلالة السياق المقامي: هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟

إنّ توسّط النص بين الانسجام والتأويل خلق علاقة وطيدة بين هذه الثنائية، إذ يستحيل تصوّر وجود أحدهما دون الآخر؛ فالنص يستمدّ انسجامه عبر انسجام تأويله، وكذلك التأويل يستمدّ مشروعيته عندما يضبط آليات الانسجام ويبرع في توظيفها لصالحه؛ فالعلاقة بينهما علاقة جدلية بامتياز.

إنّ تعدّد الآراء وتباينها حول ضبط آليات الانسجام عند علماء القرآن من شأنه أن يعزّز الثقة بمعقوليّة الخطاب القرآني من جهة. ومن جهة أخرى، في ذلك تشجيع واضح لتحرير الطّاقة التّأويلية لكلّ مفسّر، على ألاّ يكون هذا مدعاة للقول بانفتاح لا نهائي للمعنى؛ إذ المعلوم أنّ القرآن حمّال أوجه، ولكلّ وجه دليل يضمن مشروعيته التّأويلية.

لم يكن البحث عن مبدأ الانسجام في النص القرآني مستقلاً بذاته أو هدفاً لحدّ ذاته، بل كان فرعاً من فروع إثبات إعجاز القرآن. وإذا كانت مسألة إعجازه تضرب في جذور التاريخ إلى زمن طويل، فلا مبالغة في الحكم بأسبقية علماء التفسير وعلماء القرآن إلى التنبّه لضرورة توقّف الانسجام النصّي مقارنة بالدراسات اللّسانية الحديثة، وإن كان الاشتراك بينهما قد وقع في مسائل معدودة فإنّ خصائص القرآن أدّت إلى استقلال منهجي واضح.

### قائمة المصادر والمراجع:

1. Gillian Brown And George yule : Discourse Analysis , p: by cambridge university press in new york.

2. M .A.K.Halliday And Ruqaiya Hasan : Cohesion in English ,first published 1976, p: by sheck wah tong printing press in Hong Kong.

3. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، الناشر: مكتبة نضمة مصر ومطبعتها (مصر)، د.ط.
4. ابن طبطبا: عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز مانع، دار: العلوم (الرياض)، ط: (1985م).
5. ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار: المعارف (القاهرة)، د.ط.
6. أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، تحقيق: احمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، مراجعة: إبراهيم مصطفى، دار: مصطفى البابي الحلبي وأولاده (مصر)، د.ط.
7. إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار: ابن حزم، ط: الأولى (2000م).
8. باتريك شارودو ودومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمّادي صمود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، دار: سيناترا (تونس)، ط: (2006م).
9. بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبي الفضل أحمد علي الدمياطي، دار: الحديث (مصر)، ط: (1427هـ - 2006م).
10. برهان الدين بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار: الكتاب الإسلامي (القاهرة)، د.ط.
11. بوخولة بن الدين: التماسك النصي بين الدراسات البلاغية القديمة والدراسات اللسانية النصية الحديثة، مجلة: عود الند، العدد: 80.
12. الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار: المدني (القاهرة)، ط: السابعة.
13. جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار: الرسالة (لبنان- بيروت)، ط الأولى: (1429هـ/ 2008م).
14. جلال الدين السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، الناشر: مؤسسة الكتاب الثقافية (بيروت)، ط الأولى: (2002م).
15. جمال الدين عبد الرحمان ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، دار: المكتب الإسلامي (لبنان- بيروت)، ط الثالثة: (1404هـ/ 1984م).
16. حازم القرطاجي: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب، الدار: العربية للكتاب (تونس)، ط: الثالثة (2008م).
17. الحسين بن عبد الله العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، دار: إحياء الكتاب العربي عيسى البابي الحلبي وشركاؤه (مصر)، ط: الأولى (1952م).

18. حمودي السعيد: الانسجام والاتساق النصي المفهوم والأشكال، مجلة: الأثر، عدد خاص: أشغال الملتقى الوطني الأول حول اللسانيات والرواية 23/22 فيفري 2012م.
19. حياة يعقوبي: الضوابط التأويلية للنص الديني عند المعتزلة والأشاعرة -دراسة مقارنة- (أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية)، المعهد: الأعلى لأصول الدين، جامعة: الزيتونة (تونس 2006/2005م).
20. سعد الفنيسان: اختلاف المفسرين -أسبابه وآثاره-، الناشر: مكتب الدراسات والإعلام دار إشبيليا (الرياض)، ط: الأولى (1997م).
21. سليمان حسن العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، ترجمة: ياسر الملاح، مراجعة: محمد محمود غالي، الناشر: النادي الأدبي الثقافي (جدة)، ط: الأولى (1983م).
22. سيد قطب: في ظلال القرآن، دار: الشروق (القاهرة/بيروت)، ط الثانية والثلاثون: (2003م).
23. الطيب العزالي قواوة: الانسجام النصي وأدواته، مجلة المخبر بجامعة محمد خيضر بسكرة-الجزائر: أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد: الثامن (2012م).
24. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، الناشر: مكتبة الخانجي (القاهرة)، ط: الخامسة (2004م).
25. علي بن أحمد الواحددي: أسباب النزول، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار: الكتب العلمية (بيروت)، ط الأولى: (1991م).
26. فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، دار: الفكر (لبنان-بيروت)، ط الأولى: (1401هـ/1981م).
27. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، نشر: مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط: الثامنة (2005م).
28. محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار: التونسية للنشر (تونس)، د.ط: (1984م).
29. محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، نشر: المركز الثقافي العربي، ط: الأولى (1991م).
30. محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار: الكتاب العربي (بيروت)، ط: الأولى (1995م).
31. محمد علي التهنواوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، إشراف: رفيق العجم، ترجمة: جورج زيناتي، نشر: مكتبة لبنان، ط: الأولى (1996م).

32. محمود بن عمر الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وآخرون، دار: العبيكان (المملكة العربية السعودية-الرياض)، ط الأولى: (1418هـ/1998م).
33. مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، الناشر: مكتبة وهبة (القاهرة)، ط: الحادية عشر (2000م).
34. نعيمة سعيدية: الاتساق النصي في التراث العربي، مجلة: كلية الآداب بجامعة محمد خيضر بسكرة-الجزائر، العدد: الخامس (جوان-2009م).
35. نوال الخلف: الانسجام في القرآن الكريم -سورة النور أمودجا- (أطروحة لنيل درجة دكتوراه في الأدب العربي)، إشراف: محمد العيد رتيمة، كلية: الآداب واللغات، قسم: اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر (2006/2007م).